أبو مسلم الخُراساني
(دراسة تحليلية) (100 – 137هـ/ 718 – 755)

د. حامد إبراهيم الاحيدب قادم
كلية التربية - جامعة الدلنج

المستخلص:

تناولت الدراسة أبومسلم الخراساني (دراسة تحليلية)، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على شخصية أبومسلم الخراساني، وبداية انضمامه إلى ثورة العباسيين وقيادته لها في خراسان ، وكذلك الوقوف على إسهاماته في نجاح الثورة العباسية، ومن ثم انقلاب العباسيين وسخطهم عليه وتخلصهم منه. وقد اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي والإستقرائي في عرض وتحليل المعلومات التي جمعت من المصادر والمراجع. وخلصت الدراسة إلى أن أبومسلم الخراساني له الدور الأعظم في نجاح ثورة العباسيين، وتقديراً لذلك تقلد إدارة إقليم خراسان، وأن كل إسهاماته في نجاح ثورة العباسيين لم تشفع له فانقلبوا عليه وقتلوه، وأن تلك السمة ظلت ملازمة للخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول.

الكلمات المفتاحية: الخراساني ، العباسية ، الثورة ، الأمويين.

Abu Muslim Al Khurasani
(analytical study)

Hamid Ibrahim El ehadib Gadim

Abstract:

The study dealt withAbu Muslim Al Kharasani (analyeic **study** . The study aimed at projecting the character of Abu Muslim alKhorsani and his joining the Abaside revolution together with his rules in the success of the revolution . Then they overturned and got ride of him. The researcher adopted the historical , descriptive and analytical approach in analyzing and displaying the data collected from the sources and references . The study came to the fact that Abu Muslim had the greater role in the success of the Abaside revolution did save him. They turned against him and killed him .Killing had became part of the AbasideKhaliffes in first era of their rule.

Al Kharasani، Abaside ، the revolution ، the Umayyad key words:

مقدمة:

ظهرت طوائف عديدة من المجتمع الإسلامي مناهضة لحكم الأمويين، حمل بعضها السلاح وأعلن العصيان، وعارض بعضها بفكره ورأيه، فكانت معارضة العباسيين هي أقوى وأخطر أشكال المعارضة للحكم الأموي، فبثوا دعاتهم في العراق وخراسان وعدد من الأقاليم ونجحوا في استقطاب العديد من العناصر الإسلامية، وتصدرت العناصر الفارسية قائمة العناصر الموالية للعباسيين في حركتهم ضد الأمويين، فشكلوا عماد الجيش العباسي المعارض بل تولوا قيادته بعد أن ظهرت شخصيات فارسية قوية اعتمد عليها العباسيون بنسبة كبيرة في تحقيق هدفهم، ومن أولئك القادة ظهرت شخصية أبومسلم الخراساني الذي نال ثقة العباسيين وتولى قيادة الجيوش التي أشعلت شرارة الثورة العسكرية ضد بني أمية، واستطاع أبومسلم أن يحقق نجاح منقطع النظير بعد أن أخضع بجيشه أقاليم خراسان والري وطبرستان والجبل وأخيراً إقليم العراق الذي أصبح مقراً للعباسيين بعد قيام دولتهم. وبعد قيام الدولة العباسية وتثبيت أركان حكمهم أولوا العناصر اهتماماً كبيراً تقديراً لجهودهم وتضحياتهم فتولى أبو سلمة الخلال الوزارة ، وتولى أبومسلم الخراساني إقليم خراسان. غير أن الرضا والقبول الذي وجده أبومسلم من العباسيين لم يدم طويلاً فانقلبوا عليه لعدة أسباب وتخلصوا منه.

نشأة أبي مسلم وصفاته :

وُلد أبو مسلم الخراساني في مدينة أصفهان سنة (100هـ /718م) ، واسمه إبراهيم بن عثمان، وقد أرسله والده إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين ، ونشأ بها ، ويُكنى بأبي اسحق ، وعُرف

بـأبي مسـلم ، وقيـل أن السـبب في هـذه التسـمية أن إبراهيـم الإمـام طلـب منـه تغيـير اسـمه ، بعـد مـا توسـم الخـير فيـه ، لِـما كونـه سـيكون لـه دور فعـال في مـا ينـوي العـزم بـه مـن الدعـوة لبنـي العبـاس.[1] وكان أبومسـلم قصـير القامـة ، أسـمر اللـون ، جميـل الوجـه ، أحـور العـين ، عريـض الجبهـة ، وافـر اللحيـة ، خافـض الصـوت ، صاحـب فصاحـة باللغتـين العربيـة والفارسـية ، وهـو شـاعر وعـالم بالأمـور ، وجـاء في سـيرته إنـه لم يُـرَ ضاحـكاً أو مازحـاً إلا في وقتـه ولزومـه ، وهـو ذو منطـق حلـو ، يغلـب عـلى سـلوكه الهـدوء ، فـلا يغضـب في شيء مـن أحوالـه ، فـلا يظهـر عـلى شـخصيته الفـرح مهـما كان السـبب ، و لا الحـزن مهـما كانـت المصائـب ، حيـث تأتيـه الفتوحـات العظـام فـلا يظهـر عليـه السـرور ، وتنـزل عليـه الحـوادث الفادحـة فـلا يُـرى مكتئبـاً ، وكان ذا هيبـة وصرامـة ، وإقـدام وتسـرع.[2] ورُوي أن أبامسـلم كان مـن المهتمـين بالعلـم ، و كان يطلبـه في عـدة مجالـس ، حتـى أن أحـد المعاصريـن لـه روى أنـه كان يطلـب العلـم فلـم يـأتِ مجلسـاً إلا وجـد أبامسـلم قـد سـبقه إليـه ، ومـن أهـم مميـزات شـخصية أبي مسـلم الخراسـاني الصـبر ، الـذي سـاعده عـلى تحـدي المصائـب ، وتخطـي العراقيـل ، ورُوي إنـه كان يعتـز بصـبره وجلـده ، وكان كثـير الغـيرة ، شـديد البطـش ، ذو شـجاعة ورأي ، وهـو حـازم في شـتى أمـور حياتـه.[3]

جهود أبي مسلم في الدولة العباسية :

يُذكـر أن السـبب الرئيـس وراء التحـاق أبي مسـلم الخراسـاني بإبراهيـم الإمـام زعيـم الدعـوة العباسـية ، أن بعـض النقبـاء ارتحلـوا مـن خراسـان إلى الكوفـة سـنة (124هـ/741م) في هيئـة حجـاج، فقابلـوا بعـض دعـاة بنـي العبـاس الذيـن سـجنهم الأمويـون في سـجن الكوفـة ، فوجـدوا أبـا مسـلم يقـوم عـلى خدمتهـم ، فأُعجـب بـه النقبـاء ، وتوسـموا فيـه الخـير والـذكاء ، فطلبـوا منـه الالتحـاق بدعوتهـم ، والانضـمام إلى بنـي العبـاس ، فلبـى أبومسـلم نداءهـم واسـتجاب لدعوتهـم.[4] وفـي روايـة أُخـرى يُذكـر أن أبـا مسـلم كان مملـوكاً ، وأن علاقتـه ببنـي العبـاس تعـود إلى بكـير بـن ماهـان ، أحـد دُعـاة بنـي العبـاس ، وقـد جـاء إلى الكوفـة التـي حُبـس فيهـا بسـبب اجتـماع دعـا فيـه النـاس لبنـي العبـاس ، وكان أبومسـلم الخراسـاني يخـدم بعـض دُعـاة العباسـيين في السـجن ، وقـد كان حينهـا مملـوكاً لأحدهـم ، فدعـاه بكـير بـن ماهـان إلى الانضـمام للدعـوة العباسـية ، بعـد مـا اشـتراه مـن سـيده ، فاسـتجاب أبومسـلم لهـذه الدعـوة ، ولمّـا خرجـوا مـن السـجن بعثـه بكـير بـن ماهـان إلى إبراهيـم الإمـام ، فكانـت تلـك انطلاقتـه في خدمـة الدعـوة العباسـية ، بعـد أن جعلـه إبراهيـم الإمـام عـلى رأس الدعـاة في خراسـان ، وقـد كان لنشـاطه وهِمتـه الـدور الأعظـم في نجـاح الدعـوة ، وقيـام الدولـة العباسـية.[5] وقـد تحولـت الدعـوة العباسـية في سـنة 125هـ مـن دور التنظيـم السـرّي إلـى دور الصـدام والعمـل والنضال الحـربي العلنـي ، وهنالـك تألقـت شـخصيتان بارزتـان مـن العنـاصر الفارسـية كان لهـما أعـظم الأثـر فـي نجاح الـدعـوة العباسـية ، وهـما أبوسـلمة الخـلال الـذي تـولى رئاسـة الدعوة ، وشـخصية أبي مسـلم الخراسـاني، الـذي يرجـع إليـه الفضـل في قيـادة الثـورة العباسـية إلى النـصر الـذي تحقـق عـلى يديـه بـزوال دولـة بنـي أميـة ، وقـد اتصـل أبـو مسـلم بإبراهيـم الإمـام في بدايـة توليـه أمـر الدعـوة، وكان عمـر الأوّل لم يتجـاوز الحاديـة والعشريـن عامـاً ، وقـد رأى فيـه إبراهيـم الإمـام الشـخص الـذي يريـد ، و رأى أن بإمكانه الاعتـماد عليـه إلى حـد كبـير في أمـر الدعـوة ، فأرسـله داعيـة إلى خراسـان ، و كتـب إبراهيـم الإمـام إلـى

أصحابه موضحاً لهم إنه أمّر أبامسلم على خراسان ، وما يسيطر عليه بعد ذلك من مدن.[6] وقد سار أبو مسلم الخراساني إلى خراسان بناءً على طلب إبراهيم الإمام ، ليتولى أمر الدعوة فيها فتسلّم مقاليد الأمور فيها سنة (128هـ/746م) ، فأحسن القيام بدوره في هذا الأمر ، وبدأ العمل بنشاط وسرية تامة مع كتمان شديد ، وفي عام (129هـ/747م) طلب إبراهيم الإمام من أبي مسلم أن يحضر إليه مع بعض أعوانه ، فسار إليه مع سبعين من النقباء ، فلما كانوا في الطريق إليه جاءهم كتاب آخر من الإمام ، يأمر فيه أبا مسلم بالعودة إلى خراسان وإظهار الدعوة هناك ، كما بعث إليه برايةَ النصر مع ذاك الكتاب.[7] فانصاع أبومسلم لأمر الإمام وعاد إلى خراسان ، وبثّ دعاته بين الناس ليجتمعوا إليه ، وهو مقيم في قرية بضواحي مرو ، فتوافد إليه في ليلة واحدة سكان ستين قرية ، وكثُر أتباعه ، وفي رمضان سنة (129هـ/747م) عقد أبومسلم اللواء الذي بعث به إبراهيم الإمام ، ثم أرسل كتاباً إلى نصر بن سيّار عامل الأمويين في خراسان ، عارضاً عليه تسليم خراسان والانضمام للعباسيين ، فردّ عليه ابن سيّار بإرسال جيش كبير اصطدم بجيوش أبي مسلم ، فانهزمت جيوش الأمويين وأُسر قائدهم ، غير أن أبامسلم أطلق سراحه بعد أن أخذ منه الميثاق ألا يحاربهم ، ثم كثرت بعد ذلك الوفود على أبي مسلم ، ونشط في الدعوة وجذب آلاف الموالي الخراسانيين حوله.[8] وكانت بلاد خراسان في تلك الفترة ، قد اشتدت فيها الصراعات القبلية بين العرب ، حين استفحل العداء بين المضرية و اليمانية ، حيث انحاز الوالي نصر بن سيّار إلى أهله المضرية ، ضد اليمانية الذين يتزعمهم الكرماني، والأخير قد قُتل في تلك الصراعات ، فعمل الوالي الأموي ابن سيّار على توحيد كلمة العرب ، ووقف الصراعات الدائرة بينهم ، فكتب إليهم يحضهم على ترك العصبية ، واستعان في ذلك بملكته الشعرية ، فأخذ ينظم شعراً يحذر فيه العرب من سيطرة الفرس ، ويوضح لهم أن هدف الفرس هو إبادة العرب، وطالبهم بالاتحاد ضدهم مثل قوله :

لا عرب مثلكم في الناس نعرفهم *** ولا صريح موالٍ إن هم نُسبوا
ومن كان يسألني عن أصل دينهم *** فإن دينهم أن تَهْلَك العرب[9]

غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل أمام دسائس أبي مسلم ، فرفض اليمانية الصلح ، بعد أن أرسل أبومسلم إلى أبناء الكرماني يحرضهم على أخذ الثأر لوالدهم ، وبذلك استطاع أبومسلم أن يفرق كلمة العرب في خراسان ، واستطاع في وقت يسير أن يسيطر على زمام الموقف في خراسان ، فشعر الوالي نصر بن سيّار بخطورة الوضع ، فكتب إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد يطلب منه مدداً لإنقاذ الموقف ، وأنشده شعراً قائلاً :

أرى بين الرماد وميض جمرٍ *** وأخشى أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى *** و إن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعري *** أإيقاظ أمية أم نيام؟؟ [10]

غير أن مروان كان مشغولاً بإخماد ثورات الخوارج ، فرد عليه بأنه ليس لديه جنود ، وطالبه بأن يحفظ ناحيته بجنده ، فأخبر ابن سيّار أصحابه بأن الخليفة مروان بن محمد لا نصرة

عنده، وبذلك أصبح أمام الأمر الواقع لمواجهة أبي مسلم بما عنده من جيوش.[11] أما أبومسلم فإن قوّاته قد تزايدت، وأدرك حال الأمويين في خراسان ، وعدم قدرتهم على الصمود أمامه، فأشعل النيران في الجبال إيذاناً ببداية الحرب، ثم قرر في جمادى الأولى سنة (130هـ/748م) التحرك نحو مدينة مرو عاصمة إقليم خراسان، وانضمت إليه قبائل اليمنية ، وتقدمت الصفوف لمواجهة ابن سيّار، ودار القتال بين اليمانية و ابن سيّار ، وانتظر أبومسلم حتى اشتد القتال، ثم أمر أحد قواده بدخول مرو فدخلها ، وأعقبه أبومسلم ، ومضى حتى دخل دار الأمارة ، وهرب نصر بن سيّار متخفيًا.[12] وبعد فرار نصر بن سيّار من عاصمة ولايته ، أخذت مدن خراسان تتساقط أمام أبي مسلم الخراساني الواحدة تلو الأخرى ، حتى سلمت خراسان كلها لأبي مسلم الخراساني، فبعث القواد إلى جميع المناطق المجاورة لضمها ، فسيطر عليها جميعاً ، ولم يبق له إلا مطاردة نصر بن سيّار والقضاء عليه ، فأمر قائده قحطبة بن شبيب أن يتتبع نصر بن سيّار الأموي ، فسار وراءه من بلد إلى بلد حتى مرض نصر بن سيّار و مات بنواحي الري ، فأقبل قحطبة بجنوده واستولى على الري ، ثم سيّر قحطبة ابنه الحسن فاستولى على همذان، ومنها سار إلى نهاوند فحاصرها ، ولحقه بها أبوه فاجتمعا عليها ثلاثة أشهر ثم فُتِحت ، و بذلك تمت السيطرة لأبي مسلم على كل بلاد خراسان ، وبلاد الجبل معاً.[13] وقد جرت تلك الأحداث ولم يعرف الأمويون رجل تلك الثورة ، ولم يعلم سِرّها إلا الدعاة و النقباء ، أما العامة فمبلغ علمها أنها تدعو لرجل من آل البيت ، وظل الأمر هكذا حتى وقع في يد الخليفة الأموي مروان بن محمد كتاب لإبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني، فتعرف حينها على صاحب تلك الثورة ، فأرسل في الحال من يقبض على إبراهيم الإمام بالحميمة، ويأتيه به ، فتم القبض عليه ، وكان ذلك في مطلع عام (132هـ/749م) ، فزجّ به في السجن، ولبث فيه حتى وفاته في نفس العام ، غير أنه عندما شعر بقرب نهايته على يد مروان بن محمد، عَهِد إلى أخيه أبوالعباس بمواصلة السير بالدعوة ، وعقد له الإمامة من بعده ، وأمره بالمسير إلى الكوفة ، وأمر أهل بيته بالمسير معه ، ونصحهم بالسمع والطاعة له ، وبمسير أبي العباس إلى الكوفة بدأت الحلقة الأخيرة من نجاح ثورة بني العباس ، وسقوط الدولة الأموية.[14]

سار أبوالعباس إلى الكوفة – بعد أن وصلته وصية أخيه إبراهيم الإمام - و معه كبار بني هاشم من العباسيين ، ونزلوا عند أبي سلمة الخلال القائم بأمر الدعوة لآل البيت ، وكبير الدُعاة في الكوفة ، فأنزلهم في دار أحد الموالي ، و كَتَم أمرهم عن جميع القواد وعامة الناس ،لأكثر من أربعين يوماً ، حتى تم الأمر للعباسيين.[15] وقد تزامن مسير أبي العباس وأهله إلى الكوفة، مع تقدم جيوش العباسيين نحو العراق، وذلك بعد أن أمر أبومسلم قائده قحطبة بن شبيب بالزحف نحو العراق ، وأمام تلك الجيوش انهزمت جيوش الأمويين ، التي يقودها ابن هبيرة عامل بني أميّة على العراق ، فاضطر ابن هبيرة إلى الانسحاب والتقهقر نحو مدينة واسط و التحصن بها ، فظلت بعض جيوش العباسيين محاصرة له ، وتوجهت جيوش أخرى نحو مدينة الكوفة التي كانت من أهم مدن العراق ، فلم تستطع الكوفة الصمود أمام العباسيين فاستسلمت لهم ، فدخلوها في صفر سنة (132هـ/750م).[16] خرج أبو العباس السفاح من مخبئه ودخل المسجد

الجامع بالكوفة ، وأُعلنت إمامته للعامة ، وطُلِب من الناس مبايعته بالخلافة ، فبايعوه في ربيع الأولى سنة (132هـ /750م) ، ثم خطب أبوالعباس على المنبر خطبة افتتحها بمدح آل النبي (ﷺ) ، وذكر فضائلهم ، وحقهم الشرعي في الخلافة ، ثم هاجم الأمويين وسياستهم ، وعدد مساوئهم ، ثم تكلم عن مبادئ العباسيين ، وأهدافهم وسياستهم المستقبلية ، وقد وصف نفسه بالسفاح في تلك الخطبة ، لذلك لقبه المؤرخون بالسفاح ، إشارة إلى عدم توانيه في قتل أعدائه وسفك دمائهم[17] وعندما قويت شوكة أبي مسلم عند بني العباس ، أصبح له القدح المعلى في ثورة العباسيين ضد بني أمّية ، وله القدر الكبير في سقوط مدن الأمويين الواحدة تلو الأخرى ، ولعل من أهم الأعمال التي قام بها بعد قيام الدولة العباسية ، هي توليه أمر خراسان ، بأمر من الخليفة أبو العباس السفاح، وتُعد خراسان من أهم الأقاليم في الدولة العباسية ، لأنها مركز إشعاع دعوة بني العباس ، و مهد ثورتهم ، التي انطلقت منها شرارتها ، كما أنها مركز أنصارها ، فضلاً عن كونها مركزاً للسيطرة على المشرق ، و كانت قوة شخصية أبي مسلم ، وحنكته السياسية ، ودهائه، كفيلة بتوليته هذه المنطقة ذات البعد الإستراتيجي.[18] كما عمل أبو مسلم على التخلص من بعض كبار الساسة والنفوذ ، حتى ينفرد بالزعامة ، مثل قتله لأبي سلمة الخلال ، فضلاً عن قتله عدد كبير من دُعاة الخلال ، وغيرهم من الناس ، وهذا يدل على طبيعته الدموية ، والحرص على التخلص من كل من شك فيه، وقد امتاز أبومسلم على الرغم من شخصيته الدموية ، بعدد من القدرات العظيمة التي جعلت منه شخصاً قوياً ، وأحد أعظم دُعاة بني العباس ، مما ساعده على تحقيق آماله وطموحاته ، على الرغم من انتمائه إلى فئة الموالي ، هذه الفئة التي أصبحت لها قوة ضاربة بفضل انجازات أبي مسلم ، وأضحى لهم دور بارز على مسرح الأحداث السياسية ، فكان أبومسلم البداية الفعلية لهذه الطبقة ، ومن هذه القدرات التي يمتاز بها أبومسلم المهارة الإدارية ، وحكمة التنظيم ، إلى جانب معرفته بالشئون الحربية والعسكرية ، وتمكن من بناء جيش قوي كسب ولاءه لنفسه وحده ، وهكذا جعلت هذه المقدرات وغيرها من أبي مسلم شخصية مهمة في تاريخ الدولة العباسية.[19] وقد تمتع أبومسلم بمكانة كبيرة وسط الجند ، حتى أن الخليفة أباالعباس شكا يوماً إلى وزيره خالد بن برمك هيبة الجند لأبي مسلم وطاعتهم له ، وإنه خشيَ من نفوذه ، فأشار عليه خالد بن برمك برأي يشكك الجند في أبي مسلم ، ويضعف قوته ، وذلك عندما طلب منه أن يأمر أبا مسلم بعرض الجند وإبعاد من لم يكن من أهل خراسان منهم ، ففعل أبو مسلم ذلك من غير أن يفطن للأمر، وجلس للعرض في اليوم الأول ، وأبعد جنداً كثيراً ، ليسوا من أهل خراسان ، ثم جلس في اليوم الثاني ففعل وأبعد أكثرهم ، وفعل ذلك في اليوم الثالث فلم يقم أحد ، ثم قام إليه رجل وسأله عن سبب إبعاده للناس منذ ثلاثة أيام ، فأخبره أبومسلم بأنه يبعد من لم يكن من أهل خراسان, فطلب الرجل من أبي مسلم أن يبدأ بنفسه ، لأنه من أصبهان ودخل في أهل خراسان وهنا تنبه أبو مسلم ، وفطن لذلك ، وعلم أن هذه حيلة لتنفير الجند منه. وبهذه الحيلة استطاع أبو العباس أن يسيء العلاقة بين الجند وبين أبي مسلم ، أو جعلها تهتز على الأقل ، حتى لا تكون هيبة الجيوش إياه مصدر خوف وقلق له.[20] وبعد وفاة أبي العباس وبيعته لأخيه أبي جعفر

المنصور ، خرج عبدالله بن عليّ – عم السفاح والمنصور- معترضاً على بيعة المنصور ، وداعياً إلى نفسه بالخلافة ، وكان قد خرج إلى الصائفة – قبل وفاة السفاح - في مهمة كلفه بها السفاح في جمع كبير من جنوده من الشاميين والخراسانيين ، وفي الصائفة وصله كتاب من عيسى بن موسى ، يخبره فيه بوفاة أمير المؤمنين السفاح ويأمره فيه بأخذ البيعة للمنصور ، ولعيسى بن موسى من بعده بولاية العهد ، فجمع عبد الله بن عليّ الناس حوله في صلاة جامعة ، وقرأ عليهم الكتاب ، ثم أمر لنفسه بالبيعة بدلاً من المنصور ، وقد اعتبر نفسه أحق بالبيعة من غيره حسب وصية السفاح له ، وقد استدل على وصية السفاح عندما طلب من إخوته التوجه لمحاربة مروان بن محمد ، ذكر لهم إنه من سار إلى مروان بن محمد سيكون ولي عهده من بعده ، فتثاقل إخوته في هذا الأمر ، واستجاب له عمه عبدالله بن عليّ.[21] ولهذا فإن عبدالله بن عليّ يرى نفسه أحق بهذه الخلافة من غيره ، وهي حق مشروع له ، وكان له شهود على ذلك ، لذا فإنه لم يتردد في أخذ البيعة لنفسه ، من الحاضرين من أهل الشام والخراسانيين ، وفي مقدمتهم قواد الجند، الذين بايعوه على السمع والطاعة ، وبعدها سار عبدالله بن عليّ إلى حرّان ، وحاصرها نحو أربعين يوماً ، وعندما علم المنصور بخروج عمه وأخْذِهِ البيعة لنفسه ، أمر أبا مسلم بالخروج لمقاتلته. وعندما سمع عبدالله بن عليّ بخروج أبي مسلم لمقاتلته نزل في مدينة نصيبين ، وفي طريقه عمد إلى قتل عددٍ كبيرٍ من الخراسانيين ، لأنه خشي أن لا يناصروه ، وأن ينضموا إلى أبي مسلم ، الذي خرج للقتال ، وقد كتب أبومسلم إلى عبدالله بن عليّ يخبره بأنه لا يرغب في قتاله ، بل جاءه يكلفه بتولي شئون الشام ، وكان عبدالله بن عليّ يعلم جيداً مكر أبي مسلم ودهاءه ، لذلك فإنه رفض هذا العرض ، ومنها ارتحل إلى الشام نزولاً إلى رغبة أتباعه الشاميين ، وقد تتبع أبومسلم أثره في جيش عظيم ، ودارت بينهما حروب دامت شهوراً . وفي يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة (137هـ/754م) تمكن أبومسلم من هزيمة عبدالله بن عليّ ، الذي خذله أتباعه من الخراسانيين ، حين استجابوا لدعوة أبي مسلم بوساطة أحد مناديه ، الذي صاح فيهم طالباً منهم العودة ، فلاقت هذه الدعوة القبول الفوري بأن توقفوا عن مقاتلته ، وعندها لم يجد عبدالله بن عليّ من سبيل سوى الفرار نحو البصرة ، وأقام عند أخيه سليمان والي البصرة متخفياً من بطش أبي مسلم الخراساني ، الذي ظفر بما خلّفه عبدالله بن عليّ في معسكره من الخزائن والذخائر ، وأمّن الناس فلم يقتل منهم أحداً ، وأمر بالكف عنهم ، وأرسل إلى أمير المؤمنين يخبره بالنصر.[22] وبذلك استطاع أبومسلم الخراساني أن يقضي على أكبر خطر هدد خلافة المنصور ، و على الرغم من مجهودات أبي مسلم الخراساني المتعددة في خدمة العباسيين ، منذ الثورة العباسية ، وحتى خلافة المنصور ، فإن جميع أعماله لم تشفع له عند العباسيين.

اغتيال أبي مسلم:

كانت بين المنصور وأبي مسلم جفوة منذ خلافة السفاح ، وقد نصح المنصور أخاه السفاح أكثر من مرة بالتخلص من أبي مسلم ، ويعود سبب سعي المنصور لقتل أبي مسلم ، إلى ما عرفه في غريمه من قوة الشخصية ، وطموحه الكبير من أجل الوصول للسلطة ، هذا إلى جانب المكانة

التي يتمتع بها في عهد السفاح ، وكان السفاح يأخذ برأيه في شتى المسائل ، أن ما بلغه أبومسلم هو ما دفع المنصور للحد من خطورته.[23] وقد أفصحت الرواية الأولى بأن السبب المباشر وراء تنكر المنصور ونقمته على أبي مسلم ، ترجع إلى زيارة المنصور لأبي مسلم في خراسان في خلافة السفاح ، فلم يلقَ المنصور الحفاوة اللازمة من أبي مسلم ، طوال الفترة التي أقامها في خراسان ، بل عامله أبومسلم بالاستخفاف والتقليل من أمره ، فلما رجع المنصور أخبر أخاه السفاح بالأمر ، وطلب منه التخلص من أبي مسلم ، لكن السفاح وضح له الدور الذي قام به أبومسلم في الدعوة العباسية ، إلى جانب كثرة أتباعه ، لكن المنصور هوّن عليه أمر أبي مسلم وأتباعه ، فوافق السفاح على طلب أخيه وقتل أبي مسلم ، ولكن سرعان ما تراجع عن رأيه و نهى أخاه عن هذا الأمر.[24] كما جاء في الرواية الثانية بأن سبب الجفوة بين المنصور وأبي مسلم ، أن أبا مسلم بعث إلى السفاح يستأذنه في الحج في موسم (136هـ/753م) فأذن له وكتب السفاح في نفس الوقت إلى أخيه المنصور وهو على الجزيرة يخبره بطلب أبي مسلم ، على أن يكتب المنصور للسفاح يستأذنه للحج، حتى يتولى المنصور إمرة الحج في تلك السنة ليفوت إمرة الحج على أبي مسلم ، فكتب المنصور إلى السفاح مستأذناً للحج ، وهذا ما أغضب أبومسلم وزاد حقده على المنصور ، وخرج المنصور إلى الحج بصحبة أبي مسلم ، الذي كان يكسو الناس في طريقه ، ويقدم لهم العطايا ، مما جلب له محبة الناس ، ولمّا انتهى موسم الحج تقدم أبومسلم وسبق المنصور في السير ، وفي الطريق وصله خبر وفاة أمير المؤمنين السفاح ، فبعث أبومسلم بكتاب إلى المنصور يعزيه في موت أخيه السفاح ولم يهنئه بالخلافة ، فغضب المنصور وحزّ في نفسه هذا الأمر ، مما اضطره إلى مكاتبة أبي مسلم بكتاب غليظ يلومه فيه على عدم تهنئته بالخلافة ، ولما وصل الكتاب لأبي مسلم بعث له بالتهنئة بالخلافة.[25] وقد رُوي أن أبامسلم كتب كتاباً إلى المنصور ، بدأ فيه بنفسه وقدمها على المنصور ، مما أثار حفيظة المنصور نحوه ، كما أن أبامسلم قد دخلت الريبة في قلبه من تصرفات المنصور ، غير أن السبب المباشر الذي وضع حداً للعلاقة بينهما ، وأدى إلى مقتل أبي مسلم ، هو أن المنصور عندما سمع بانتصار أبي مسلم على عمه عبدالله بن عليّ ، بعث رجلاً ليحصي ما حصل عليه أبومسلم من هذه الحرب ، فغضب أبو مسلم من صنيع الخليفة ، وهمّ بقتل رسوله لولا تدخل بعض أصحابه ، وذكروا له إنه رسول وليس له من الأمر شيء ، فذكر لهم أبومسلم أن الخليفة جعله أميناً على الدماء ، ولم يأمنه على الأموال ، فخاف الرجل من بطش أبي مسلم وذكر له إنه جاء مهنئاً إياه بالنصر ، ويحمل إليه تهاني أمير المؤمنين بهذا الأمر.[26] وأخيراً عاد الرجل إلى المنصور ، وأخبره بما قاله أبومسلم ، فدبّ القلق في نفسه لأنه لا يريد أن تدخل أي ريبة في نفس أبي مسلم، وأن لا يساوره الشك في أمير المؤمنين ، وكان المنصور يخشى أن يرتحل أبومسلم إلى خراسان مما يصعب عليه تنفيذ مخططه ، فكتب إليه يخبره إنه ولاه الشام و مصر، وذكر له إنها أفضل من خراسان ، كما أشار عليه أن يوجه إلى مصر من يحب ويقيم هو في الشام ، حتى يكون قريباً من الخليفة ، فإن أحب الخليفة لقاءه أتاه من قرب ، ولكن كتاب الخليفة زاد من غضب أبي مسلم عليه ، واشتدت ثورته ، وعرف مكر الخليفة ، فرفض عرض الخليفة له بتولية الشام ومصر ،

و عـزم عـلى المضي إلى خراسـان ، وهو ما كان يخشـاه المنصور ، وخـرج المنصور مـن الأنبار فـي طـلب أبي مـسلم الـذي نـزل بالـزاب. ودارت المكاتبـات بـين الطرفـين ، طلـب فيهـا المنصـور ملاقـاة أبي مسـلم ، فرفـض أبـو مسـلم ، ولكنـه أكّـد ذهابـه إلى خراسـان وولاءه للمنصـور مـن هنـاك ، وقـد أكـثر المنصـور مـن مكاتبـة غريمـه يسـتميله للعـدول عـن رأيـه ، ولكـن آخـر تلـك الرسـائل حملـت تهديـداً مـن المنصـور لأبي مسـلم ، حلـف فيهـا إن لم يحـضر أبومسـلم للقائـه لم يبعـث لـه أحـداً سـواه ، بـل سـيخرج لقتالـه بنفسـه ، أو يمـوت دونـه ، فاستشـار أبومسـلم أصحابـه فأشـاروا عليـه بعـدم الرجـوع ، وشـجعوه عـلى الذهـاب إلى خراسـان مركـز قوتـه، و لكـن أخـيراً لان أبـو مسـلم واسـتجاب لدعـوة الخليفـة ، وللضغوطـات التـي مورسـت عليـه مـن جهـات عديـدة ، مـن أجـل العـودة ، وطلـب العفـو مـن الخليفـة .[27] اتجـه أبومسـلم نحـو المنصـور الـذي اسـتقبله كأحسـن مـا يكـون ، حتـى يزيـل الخـوف عنـه ، فقبـل أبومسـلم يـد الخليفـة يطلـب العفـو ، فأمـره المنصـور بالذهـاب إلى القـصر ليلتمـس الراحـة ، وأصبحـت الفرصـة سـهلة للخليفـة المنصـور للتخلـص مـن عـدوه ، فأمـر رجـال شرطتـه بتنفيـذ المخطـط ، والقضـاء عـلى أبي مسـلم ، ورسـم لهـم الخطـة ، حيـث أمرهـم أن يندسـوا خلفـه ، وعنـد تصفيقـه يخرجـون إليـه فيقتلونـه، فأرسـل المنصـور إلى أبي مسـلم في اليـوم الثـاني ، فاسـتقبله ، ثـم تحـدث معـه المنصـور في أمـور شـتى ، إلى أن وصـل العتـاب واللـوم ، والشـتيمة ، وعندهـا عـرف أبومسـلم مـا ينتظـره ، فتوسـل إلى المنصـور واسـتعطفه ، غـير أن المنصـور صفـق فخـرج رجالـه وانهالـوا ضربـاً عـلى أبي مسـلم بالسـيوف حتـى لقـيّ حتفـه.[28] وبذلـك سـلك المنصـور طريـق أخيـه السـفاح ، في تصفيـة العنـاصر الفارسـية ، صاحبـة الفضـل في قيـام دولـة بنـي العبـاس ، فلحـق أبومسـلم بالخـلال ، وقـد اعـترض عيـسى بـن مـوسى عـلى مقتلـه ، غـير أن المنصـور ذكـر لـه إنـه لم يكـن للعباسـيين ملـك أو سـلطان ، ولا أمـر ولا نهـي مـع أبي مسـلم ، وهـذا يـدل عـلى مـدى تسـلط أبي مسـلم عـلى أمـور الدولـة ، حتـى أن البعـض أشـاروا عـلى المنصـور أن يعـد اليـوم الـذي قتـل فيـه أبي مسـلم أوّل أيـام خلافتـه. وهكـذا انتهـت حيـاة أبي مسـلم الخراسـاني ، الـذي يُعـد صاحـب الفضـل الأكـبر في قيـام الدولـة العباسـية ، وهـذا يـدل عـلى مـدى عـدم تـواني المنصـور في قتـل كل مـن تسـول لـه نفسـه بالخـروج عـن طاعتـه .

أثر مقتل أبي مسلم الخراساني على الدولة العباسية:

واجهـت المنصـور العديـد مـن المتاعـب بعـد مقتـل أبي مسـلم الخراسـاني ، حيـث اسـتاء الفـرس مـن مقتلـه ، واتخـذوا هـذه الحادثـة ذريعـة للثـورة عـلى الدولـة العباسـية ، ونسـجوا حـول شـخصية أبي مسـلم ألوانـاً مـن الخيـال تلائـم العقائـد الفارسـية القديمـة ، فزعـم بعضهـم إنـه حـيٌّ لم يمـت ، كـما خرجـت بعـض الطوائـف الفارسـية ضـد الخليفـة المنصـور .[29]

أولاً/ثورة سنباذ:

أثـار مقتـل أبي مسـلم الخراسـاني غضبـة الجماهـير في خراسـان ، ففـي سـنة(137هـ/755م) خـرج سـنباذ بخراسـان مُطالبـاً بـدم أبي مسـلم ، والثـأر لـه ، فخـرج مـن نيسـابور في جيـش كثيـف مـن أتباعـه، فغلـب عـلى نيسـابور والـري ، واسـتولى وهـو بالـري عـلى خزائـن أبي مسـلم التـي خلفهـا بالـري حـين ذهـب إلـى بغـداد لمقابلـة الخليفـة أبي العبـاس السـفاح ، فعـاث سـنباذ فسـاداً في تلـك النواحـي ، وكان

يظهر إنه ينوي الوصول إلى الكعبة ليهدمها ، فاستفحل أمره ، فأرسل له المنصور جيشاً كبيراً بلغ عشرة آلاف((10000 مقاتل ، فالتقى الفريقان بين همدان والري ، وهُزم سنباذ ، وقُتل هو وكثير من أتباعه ، وبذلك تمكن المنصور من التخلص من خطر هذه الطائفة.[30]

ثانياً/ثورة الراوندية:

ولم يكد المنصور يفرغ من السيطرة على حركة سنباذ حتى فُوجئ بظهور طائفة الراوندية ، الذين اخفوا غرضهم الحقيقي وهو الثأر لأبي مسلم ، وظهروا في صورة (غُلاة العباسيين) فأحاطوا بقصر المنصور مُدّعين أن المنصور هو ربهم ، وادّعوا عبادته ، فأمر المنصور بالقبض على مائتين ((200 منهم وزجّ بهم في السجن ، فثار الراوندية وحطموا السجن ، وأخرجوا أصحابهم ، ولم يكتفوا بذلك بل قصدوا قصر المنصور للتخلص منه ، وكان في فئة قليلة من رجاله ، وتكاثروا عليه، وكادوا يقتلونه ، وتبادل حُرّاس القصر معهم الهجوم ، ونُودي في الأسواق ، فأقبل الناس يحاربون الراوندية ، فانهزم الراوندية ، وبذلك قضى عليهم المنصور ، وكان ذلك في سنة (141هـ/758م).[31] وقد تمكن الخليفة المنصور من السيطرة على أطراف الدولة بعد هذه الحركات ، وجاء بعده ابنه محمد المهدي الذي ظهر في عهده المقنع بخراسان ، حيث ذكر أن الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في صورة الأنبياء من بعده ، ثم في صورة العلويين حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني ، ثم زعم إنه انتقل منه إليه ، و أسقط الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأباح للناس الأموال والنساء ، فعبده الناس وسجدوا له ، ولمّا قويّ أمره ، وكثُر أنصاره ، انضم إليه أهل سمرقند ، والأتراك الذين كانوا يقيمون حول بحر قزوين ، فأرسل إليه الخليفة المهدي سبعين ألفاً من الجنود ، فانتصروا عليه ، ولمّا شعر بالهزيمة أشعل النار وأحرق كل ما عنده ، ثم ألقى بنفسه ونسائه وأولاده فيها ، وأمر بقية أصحابه يقعوا فيها ، وبذلك تخلص منه الخليفة المهدي ، و أمِن الناس من شر مبادئه .[32] ولا شك أن هذه الحركات قامت بسبب مقتل أبي مسلم الخراساني ، حيث كان هو القاسم المشترك في أهدافها السياسية والدينية ، و لولا مقتله لما ظهرت هذه الحركات ، لأنهم ينظرون إليه بشيء من القدسية . كما إنه كان مطاعاً عند الفرس فلا يستطيع أحدٌ من الفرس الخروج عليه في حياته، لذلك كانت تلك الحركات انتقاماً من الفرس على مقتله من قِبَل المنصور.[33].

الخاتمة:

وختاماً يمكن القول أن أبا مسلم الخراساني له الدور الأعظم في نجاح ثورة العباسيين، حيث أظهر قدرات فائقة منذ انضمامه إليها، وتوليه أمر الدعوة في خرسان، وقد نجح في تأليب الناس على بني أمية وانضمامهم إلى بني العباس، ومن ثم نجح في تشكيل جيش قوي في خراسان استطاع ان يعلن به شرارة الثورة الثورة هناك فأسقط مدينة مرو عاصمة إقليم خراسان وقتل واليها الأموي نصر بن سيار، ثم أسقط بقية المدن الواحدة الخراسانية تلو الأخرى ثم تقدم جيشه ناحية العراق وبدأ يفرض سيطرته على مدن العراق حتى دخل مدينة الكوفة، وهناك ظهر أبوالعباس السفاح معلناً قيام الدولة العباسية، وتقديراً لجهوده في قيام الدولة العباسية أوكل أبوالعباس السفاح إدارة إقليم خراسان إلى أبي مسلم الخراساني الذي يحظى بمكانة كبيرة هناك، غير أنه بمرور الزمن انقلب

العباسيون على أبي مسلم بعد أن سخط عليه الخليفة المنصور فتخلص منه وقتله رغم دوره الكبير في قيام دولتهم، والمتتبع لتاريخ العباسيين في عصرهم الأول يجدهم يتبعون سياسة الغدر باستمرار مع أعوانهم.

النتائج:

1. تميز أبومسلم الخراساني بصفات ايجابية عديدة مثل الصبر والقة والجدية والاتزان وهي التي صنعت منه شخصية اعتبارية في الدولة العباسية.
2. بعد انضمامه للثورة العباسية استطاع أبومسلم الخراساني ان يتولى قيادتها ويصبح الرقم الأول في القيادة العسكرية للثورة، مما أسهم في نجاحها.
3. بما أن الثورة العباسية نجحت بفضل العناصر الفارسية فقد قلدهم العباسيون المناصب الرفية في الدولة تقديراً لجهودهم، واعترافاً بفضلهم.
4. انقلب العباسيون على الاقدة والوزراء من الفرس لأسباب مختلفة، وكان أبومسلم الخراساني هو احد ضحايا هذا الإنقلاب، فقد قتله الخليفة أبوجعفر المنصور.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

1. تناول شخصية أبومسلم الخراساني كقائد عسكري ميداني، والوقوف على الخطط العسكرية التي حقق بها الانتصارات المتتالية على أعدائه.
2. دراسة شكل العلاقات بين العباسيين ومواليهم الفرس الذين شاركوهم في ادراة الدولة، حيث تأرجحت هذه العلاقة في فترات عديدة.

الهوامش:

(1) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، ج7 ، دار صادر ، بيروت ، 2003م، ص70 .
(2) إبن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد : وفيات الأعيان وأنباء أبناء أزمان ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 م ، ص20 .
(3) الذهبي ، شمس الدين بن محمد : سير أعلام النبلاء ، ج 3 ، جدة ، 1411هـ / 1991م ، ص53 .
(4) حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1996م ، ص18 .
(5) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص70 .
(6) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن الكرم : الكامل في التاريخ ، ج 5، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1997م ، ص257 .
(7) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 3 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1964م ، ص169.
(8) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص 244.
(9) لشريف، أحمد إبراهيم: العالم الإسلامي في العصر العباسي الأوّل، دار الفكر العربي، بيروت، 1977م، ص43.
(10) بن الأثير : مصدر سبق ذكره ، ج5 ، ص367.
(11) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص 262 .
(12) الدينوري : ، أبوحنيفة أحمد بن داؤد : الأخبار الطوال ، بغداد ، 1960م ، ص 360 .
(13) المسعودي : مروج الذهب ، مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص204.
(14) إبن كثير، أبو الفداء الحافظ : البداية والنهاية ، ج7 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1411 هـ / 1990م ، ص98.
(15) اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن وهب: تاريخ اليعقوبي، ج3 ، المكتبة المرتضوية ، حمص، 1358هـ، ص82.
(16) المناصير ، محمد عبدالحفيظ درويش : الجيش في العصر العباسي الأول ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة النيلين ، كلية الآداب ، 1998م ، ص 380 .
(17) السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، مكتبة السعادة، القاهرة، 1952م، ص240 .
(18) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص 342.
(19) رستم ، عبدالسلام : أبوجعفر المنصور الخليفة العباسي ، دار المعارف ، مصر ، 1965م ، ص43.
(20) برانق ، محمد أحمد : الوزراء العباسيين ، ج 1 ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع ، ص104. (21) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص365 .
(20) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص385 .
(21) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص246 .
(22) ابن الجوزي ، أبوالفرج عبدالرحمن بن عليّ : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج7 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م ، ص332 .
(23) الذهبي : مصدر سبق ذكره ، ج6 ، ص61 .
(24) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص246 .
(25) ابن الجوزي : مصدر سبق ذكره ، ج7 ، ص332 .
(26) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص387 .
(27) المسعودي : مروج الذهب ، مصدر سبق ذكره ، ج3 ، ص302 .
(28) الطبري : مصدر سبق ذكره ، ج8 ، ص393.
(29) اليعقوبي : مصدر سبق ذكره ، ج2 ، ص367 .
(30) الفقي ، د.عصام الدين عبدالرءوف : دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1992م ، ص 27 .
(31) الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم : الملل والنحل ، ج 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1404هـ ، ص205- 206 .